عنه فوائدجمة تضمن رقي الامة

نكتب هذا ونعاتب الرجال على تماديهم في اهمال النساء والفتيات وتركهن في حالة الجمود . ونعاتب النساء ايضاً على انهن لم يتكاتفن حتى الان ولم يتعاون على اجراء ما يقدرن على عمله لانقاذ انفسهن من هذه الحالة الكئيبة المخجلة التي ما عادت تطاق !

فلسفة الحياة (١)

هبطت عليَّ دعوة المنتدى لأخطب في يومه الحافل هذا . وكان ابني اذ ذاك يحدثني وقد اطلقت العنان لفكره ليطارحني اسئلة تدور في راسه الصغير لازوده بزُبدة اختباراتي وخُلاصة علمي عن الحياة والمجتمع . تحوم فكرةُ الطفل احياناً حول مواضيع فلسفية توحيها اليه نفسه او قواها العاقلة . فيقف اكبر الفلاسفة منذهلاً من تلك الحكمة البالغة ... وسألني ولدي في تلك التضاعيف سوالاً اعده من اعظم الأسئلة في فلسفة الحياة وقوام البيوت وكيان المجتمع وتألف الدول . سألني لماذا وُجدنا في هذا العالم ؟ اخذت سوال ذلك الطفل الذي هو في بحر سنته الرابعة واتخذته موضعاً لخطابي .

(١) لحضرة صاحب التوقيع اعدها لتلقى في حفلة منتدى التهذيب السنوية فحال دون ذلك غيابه عن العاصمة نهار الحفلة

لماذا اتينا هذا العالم ؟

هذا سؤال يتردد في خاطر من يرى الطفل الصغير يفتح عينيه لاول مرة لنور الحياة . سؤال يجعله قبلته المربي الذي يعهد اليه تربية الصغير الذي يخطو الخطوة الاولى نحو باب الحياة . سؤال يجب علينا ان نذكر به الصبيان الذين يتدرجون في طريق الحياة . موضوع يجب ان يتدبره الشبان الذين يدخلون معترك الحياة . مشكل يجب ان يحله الكهول الذين قطعوا شوطاً من الحياة . درس يجب على الشيوخ ان يفقهونا به بعد ان انتهوا الى آخر طريق الحياة . دستور العمل لكل الطبقات من الناس من ملوك وسادة وسُوقة .

اسمع انيناً يتصاعد من اعماق النفوس . ارى دموعاً تنسكب من العيون على الخدود . يطرق اذنيّ تبرم من الدهر الخؤون . هنا شكوى وهناك بلوى وهنالك تعاسة وشقاء . يتموج المجتمع البشري بأثير الاشجان والاحزان والمصائب . كأن الدنيا وادي الشقاء وجحيم البلاء ومأزق الفجائع .

ألهذا خلقنا ؟ ولهذا اتينا الحياة ؟ ولهذا هبطنا الارض ؟ لا وعمر الحق . ماوصلت البشرية المتألمة الى هذا الحال من اليأس والقنوط الاّ لأن الانسان نسي او تناسى لماذا خلق . جهل او تجاهل الغاية التي لأجلها بعث الى هذه الارض . فصيرّ ورده شوكاً ولذته عذاباً

وسروره الماً ونعيمه جحيماً .

انحرف عن الطريق متساهلاً فابتعد عن مركز غايته . فافضى به ذلك الانحـراف الى هُوة سحيقة . اراد ان يهتدي الى الصراط المستقيم فراى حقه مضطرباً لايهديه الى القطب الشمالي فتداولته النكبات وبات العوبة بيد تيار الاحداث :

كريشة في مهب الريح ساقطة لاتستقر على حال من القلق

ويظن فريق من الناس ان الحياة حلم جميل . يستعذبون مرأى الاشباح التي تمر ازاء مخيلاتهم ويتمتعون بخيالات عقيمة . يقضون مراحل العمر في مسارح الاوهام . يقفون على شاطئ الحياة وقفة المتفرج . فينظرون الى الشمس رأد الضحى نظرهم الى الشمس عند الطفل . يلتهون ببناء بيوت من الرمل واكواخ من القش . فان جاءوا تمنوا من يضع لقمةً في افواههم . وان عطشـوا عللوا نفوسهم بالسراب عن الماء . فاستسلموا للاقدار واعتقدوا بتأثير الفلك المدار . فرجعوا خائبين ناقمين على صروف الدهر . واخذوا ينقرون على اوتار قيثارتهم اناشيد الوداع لاحلامهم الذهبية وآمالهم الاشعبية .

لم يعرف المتشائمون معنى الحياة ولم يفقه الخياليون مناحي الحياة . فالارض ليست وادي شقاء ولم نخلق للنحيب والبكاء وليس العالم مسرح الخيالات ولم نات اليه لنقضي ايامنا في الاحلام والهزليات

بل غاية الحياة اسمى من هذا وذاك والارض غير هذا وذاك .

وتذهب طائفة الى ان الارض جسر يصل شاطئ العدم بشاطئ الابدية وانها قرارة التفاني والحرمان . فـكل مافيها لا يستحق الالتفات اليه والوقوف عنده او كما يقول صاحب الجامعة « باطلة الاباطيل وكل ماهو تحت الشمس باطل » فيزهد الزاهدون في الدنيا وطيباتها ويحجمون عن العالم وملذاته . ويقضـون ايامهم في القفار والبراري ويأوون الى الكهوف والمفاوز ينتظرون ان تأزف ساعة الرحيل ليخلصوا من عناء الحياة وقيود الجسد ومؤثرات الهيولي وان كان في رأيهم شيء من فلسفة الحياة ولكنه لايخلو من المغالاة والتخوف من الكفاح في ميدان الحياة

لنبعدن عن ابصارنا تلك البلورات ذات الالوان المختلفة ولننظرن الى الحياة بعيوننا الطبيعية . لنرفعن الستار المسدول دون الحيـاة ونقف بازائها وجهاً بوجه ونتدبر غايتها . فتظهر لنا غاية الحيـاة بمظهرها الرائع الفتان وما غاية الحياة الاّ « الحقيقة والعمل » . وما الارض الاّ « كناس الحقيقة وحقل العمل »

الطبيعة مستودع الحقائق ؛ الطبيعة خزانة جواهر الاشياء وكنهها . ولكن تلك الحقائق وهذه الجواهر دفينة الفضاء الاوسع والمحل الارفع . تحف بها الاسرار وتستترها الحواجز . فاعمل ايها الانسان

لهتك الاسرار ورفع الحواجز . الحقيقة هي غذاء عقلك الوحيد وغرضه الاسمى . عالج الحقائق التي اكتشفتها البشرية منذ هبطت الارض . الم تتمكن من الوقوف على حقائق جديدة ؟

اتيت الى الارض ايها الانسان ببعثة شريفة ورسالة فاضلة . فانت رسول الاجيال الماضية على الارض وانت رائد الاجيال القادمة اخذت قبساً من حياة غيرك وشعلت ذبالة مصباحك من نور الاجيال التي سبقتك واتيت الى الارض مع الآتين من ابناء جيلك لا لتلعب بالنار فيحرقك شررها ولا لتقفز على لهيبها ملهاة لقطع ايامك ولا لتطفئ نورها فتسير في غياهب الظلمات . وتجترح اثماً لا تغفره لك البشرية العاملة . بل اتيت لتزيد بمصباحك نور البشرية وهجاً وبهاءً . وتجعل ان يقبس من نوره ابناء الاجيال القادمة . تودع مصباحك للذين يخلفونك في الحياة وهو ترع بالزيت . لا بل يجب عليك ان تودعهم ذلك المصباح وفيه عوض الزيت قوة كهربائية

اتيت الارض لتضع حجراً في بناء البشرية الشامخ وعلى كل انسان ان يتقن ذلك الحجر جهد المستطاع ويرصه ويثبته في مكانه قبل يوم الرحيل . غرست ايها الانسان على مجاري المياه لتزهر وتثمر فان لم تثمر ثمراً صالحاً قلعت وألقيت في النار وحل في مكانك من هو اصلح منك للحياة وانفع للبشرية

نزلنا الارض وليست الارض قرارة الراحة ومهد السلام . الارض ميدان الكفاح . الارض ساحة الجهاد . ولا يرث الارض الا اولياء الله الصالحون . اولياء الله الصالحون هم الذين فهموا معنى الحياة . هم الفلاحون الذين يشتغلون ارض الله . هم المجاهدون الذين يذودون عن حياض ارض الله . هم الذين يشغلون مواهبهم العقلية والجسدية في معالجة عناصر الطبيعة التي خلقها الله . هم الذين يسخرون علمهم في نفع البشرية التي اوجدها الله . هم الذين يرفعون شاو بيوتهم ووطنهم ودولتهم التي قوم كيانها الله .

ما اجدر بي ان اورد هنا كلام الفيلسوف « كانت » الشهير اذ قال:

« نمت فساورتني الاحلام . استيقظت فرايت الحياة كلها واجبات » . كلام حق صيغ من ضؤال الحكمة . اجل ان الحياه كلها واجبات . علينا ان لا ننظر الى الواجب نظرة بغض ولا نعتبره ثقلاً وقصاصاً وعذاباً . ولا نأتي على الواجب مكرهين مستثقلين ولا نقدم عليه متنفرين ممتعضين . بل لنقم بواجبنا جذلين مسرورين فرحين مستبشرين مهللين مكبرين لأن الحياة كلها واجبات »

لا ارى في الحياة شيئاً باطلاً . بل لكل شيء قيمته . ولكل شيء وقته . ولكن هناك غاية وواسطة . فمن الامور ما يكون غاية الحياة ومنها ما يكون واسطة لغاية الحياة . فما احلى الغاية السامية وما

اجمل الواسطة الشريفة . ففي هذا النطاق وعلى هذا المبدأ كل شيء حقيقي في الحياة. كل شيء ثابت في العالم . كل امر خالد في البشرية. لأن الانسان لم يهبط الارض ليحيا حياة الانفراد وحياة العزلة انما هو خلية في جسم البشرية . هو عضو في جسد المجتمع .هو جندي في جيش هذا العالم.هو شريك متكافل متضامن في العقد الاجتماعي الذي عقدته الانسانية منذ نشأتها . لا يعيش لنفسه فحسبه بل يعيش ايضاً لبيته ووطنه ودولته وللبشرية جمعاء. لا تنتهي الحياة بموت الفرد بل عمله خالد فيها . فيجب عليه ان يكافح في سبيل الحياة من المهد الى اللحد . عليه ان يقوم بمهام بعثته الى الارض من يوم يخلق الى يوم يدفن .

ولكي نكون على بينة من اعمالنا حري بنا ان نقتدي بذلك الفيلسوف اليوناني الذي كان يحاسب نفسه مساء كل يوم . فان تحقق لديه انه لم يات بعمل صالح سحابة نهاره ناح وتنهد وصاح: لقد « أضعت نهاري »

ان في الحياة افراحاً واتراحاً ، نجاحاً وفشلاً ، غنىً وفقراً ، سعداً ونحساً . وعلى رأيي ان في كل من هذه الاحوال دروساً وعبراً للانسان . واذا انعمنا نظرنا في حياة الافراد والجماعات نرى اغلب الشقاء الذي يلحق بهم وليد اعمالهم وصنع ايديهم وابن خيالاتهم

واوهامهم . والتاريخ اكبر شاهد على ما اقول :نرى الامة الرومانية بعد ان تملت بنشوة الانتصارات وسكرت بخمرة الفتوحات مالت الى البذخ والترف فانغمست في الملذات وتراخت عزائم رجالها فجنحت الى السقوط فكان نصيبها الدمار والانمحاق والاندثار .

فلا يبطرنا النجاح ولا يقعدنا الفشل ولا نعلل نفوسنا بالخيالات والاوهام . بل لنتمم مساعينا في النجاح ونضاعف همتنا في الفشل ولنبتعد عن الخيالات والاشباح. لنسع وراء الحقيقة ولتكن هي وحدها غرضنا في اعمالنا وجهودنا . خذوا هذه الحقائق عن رجل قطع الاربعين من عمره وهو اليوم واقف على ذروة برج الحياة يطل من الجانب الواحد على الحوادث التي مرت عليه ويتدبرها ويرقب من الجانب الآخر الحوادث الآتية ليقطف ثمرة تلك الاختبارات الناضجة وهو منحدر من شاهق الحياة درجة بعد درجة .

يوسف غنيمة

المجلات النسائية في سوريا

أثر حسن من اجمل مظاهر الادب في عالم الصحافة ، برهن استعداد المرأة . بل هو خير مظهرٍ صحافيّ سوري ، حسبنا « المرأة الجديدة » في بيروت ، فضلاً عن ان « عروس » الشام و « خدر »